الدرس الحادي والثلاثون: اجتناب صور الخيانة المختلفة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة حاطب بن أبي بلتعة. فَعَنْ عَلِيٍّ ☺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ - أي جميعنا نركب الخيل - قَالَ:**"انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ** - أي مكان بين مكة والمدينة -، **فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ** -، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا - أي فأنخنا بعيرها -، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - أي معقد إزارها مثل التكة -، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ - أي شادة كساءها على وسطها - بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : **"مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟** -قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ؛ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**"صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا** -، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ:**"أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟** - فَقَالَ:**"لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟** -فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [1].

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 3762.

قال تعالى:{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(27)**} [الأنفال: 27].

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة ونكَبات متلاحقة، لتعرّض الأمة لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات من أبنائها.

والخيانة من سمات المنافقين، فالخائن بالضرورة منافق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ:"**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ** "-(1).

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون؛ لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ☻ قَالَ:قَالَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :"**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ** "-(2)، هذا الخائنَ وإن اندسّ بين الناسَ ولم يفتضح أمره أمام عباد الله فَأين يذهب يوم القيامة؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الخيانة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:"**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ** "-(3).

والخيانة مذمومة حتى مع الخونة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :"**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ** "-(4).

معاشر الإخوة، لخيانة الأمانة صورٌ مختلفة نذكر منها:

1 – **خيانة العقيدة**: بأن يكون المسلم مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد أو دليلاً لهم على عوراتها قال

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 33 و(م) 59.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 6565 و(م) 1735.
(3) (صحيح) أخرجه (حم م) وصححه الألباني في ص.ج 2637.
(4) (صحيح) أخرجه (ت د دارمي) وصححه الألباني في مش 2934.

تعالى: {ضَرَبَ الله مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُـوطٍ كَانَتَـا تَحْـتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَـمْ يُغْنِيَنَـا عَـنْهُمَا مِـنَ الله شَـيْئًا وَقِيـلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَـعَ الـداخِلِينَ} [التحريم:10]. والخيانـة هنـا هـي خيانـة الـدين لا الفاحشة، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وإذا استضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

2 – **موالاة أعداء الله خيانـة**: كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة التى ذكرت.

3 – **خيانة الشريعة**: فلا تُطبّق، بل تعزل عن حياة المسلمين.

4 – **خيانة الأعراض**: ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام، قال تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّـدُورُ} [غافر:19]، قال ابن عباس: " هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء، فإذا غفلوا نظر إليها، وإذا فطنوا غضَّ بصره "، فكيف بالزنا؟! وقد حرم الله الزنا ونهى عن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال:{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَـاء سَبِيلاً} [الإسراء:32].

5 – **خيانة الكسـب**: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع ولا كذب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ:"مَا هَـذَا يَـا صَـاحِبَ الطَّعَـام؟ -قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله قَالَ:"أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّـي -[1].

6 – **خيانـة المنصـب**: بأن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبّع من المال العام جريمة ولقد فشا هذا الأمر في الدول الإسلامية في الآونة الأخيرة بصورة مروعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَـلٍ فَرَزَقْنَـاهُ رِزْقًـا فَـمَا

(1) (صحيح) أخرجه (م) 102.

أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ -[1].

7 - **خيانة الرعية**: قال تعالى:{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**} [التحريم:6].

ولذا كان من الخيانة تضييع الزوجة والأولاد، فلا يؤدبهم ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر، فَعَنْ مَعْقِلٍ ☺ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** -[2]، وأي غش - أيها المسلمون - أكبر من نصب الدش في المنزل وجعله متاحًا للقاصرين من الأطفال والنساء والمراهقين يختارون ما شاؤوا من القنوات الخارجة؟!

وإذا أهمل الزوج حق زوجته ولم يطعمها ولم يكسها مما اكتسى أو أفشى سرها فقد خان الأمانة، وإن أفشت الزوجة سر زوجها فقد خانت الأمانة، وإن دخل بيتها أحد بغير إذن زوجها فقد خانت الأمانة.

8 - **خيانة الجوارح**: فمن لم يحفظ جوارحه عن معصية الله فقد خان الله.

9 - **خيانة أسرار الناس**: بألا تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها، فتدع لسانك يفشي أسرارها وينشر أخبارها.

10 - **خيانة العالم العلم**: فالعلم أمانة في عنق العلماء، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة،{**وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**} [آل عمران:187].

11 - **خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات**:{**إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**} [النساء:58]، ويدخل في ذلك أداء الديون، فالمماطلة بها خيانة، انظروا إلى رسول الله كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليُسَلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده،

(1) (صحيح) أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج 6023.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 6731 و(م) 142.

مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه عند هجرته إلى المدينة (72).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *